قواعد التدبر – القاعدة الرابعة1

بسم الله، والحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله.

وبعد:

هذه هي القاعدة الرابعة وهي قاعدة تتعلق بالتنوين.

القاعدة الرابعة: التنوين في القرآن يفيد التعظيم والتفخيم، ويفيد التقليل والتحقير.

هذه القاعدة سأتكلم عنها على عدَّة مقاطع:

أولاً: ظاهرة التنوين هذه من خصائص اللغة العربية، وهو من جماليات العربية، ومن إعجاز اللغة العربية أيضاً.

والتنوين هو اختصار.

*فمثلاً قول الله سبحانه وتعالى: ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾[1]، يعني: كلُّ أحد في السماوات وفي الأرض قانت لله، لكن هذه الجملة الطويلة اختصرت ﴿كُلٌّ﴾، ووُضِعَ على (كل) تنوين؛ لإفادة الجميع، وأيضاً *قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[2]، يعني: كلُّ هؤلاء المعدودين إسماعيل وإدريس وذا الكفل وغيرهم من أنبياء الله كلٌّ من الصالحين، فبدل ما يعيدهم، أو بدل ما يقال: كلُّ هؤلاء، أو كلُّ المعدودين، كلُّ المذكورين، اكتُفي بوضع تنوين على (كل).

*وكذلك أيضاً: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾[3]، يعني: ولكلِّ عاملٍ من العاملين درجات مما عملوا، فاكتُفي بالتنوين.

فتلاحظون:

---

(1) [البقرة:116]

(2) [الأنعام:85]

(3) [الأنعام:132]

أولا: أنَّ التنوين من جماليات اللغة العربية.

ثانياً: فيه بلاغة.

ثالثاً: فيه اختصار، يعني: هو يحوي شيء آخر ينوب عن شيء آخر، العربي الفصيح كان يفهم من هذا التنوين أشياء كثيرة، فأحياناً يفهم أنَّ التنوين يدلُّ على العظمة والكثرة والتفخيم والتعظيم، مثل لما يقول مثلاً: (لك عندي جائزة)، يفهم مباشرة أنَّها جائزة ضخمة؛ بدليل التنوين، (له عندي موعداً)، هذا إذاً التهديد قوي؛ لأنَّه نوَّن (وضع التنوين).

وأحياناً يفهم منها التقليل والتحقير (ما عندي لك من شيءٍ)، بدل ما يقول: ما عندي لك من أي شيء قليل كان أو كثير، بدل هذه وضع (شيء) ووضع عليها تنوين، ففهم المقابل أنَّه حتى أدنى شيء ليس لك عندي.

هذا موجود في القرآن الكريم، فالقرآن الكريم ذُكر فيه التنوين، حتى بعض المواقع التي تحصي التنوين وجدت قرابة تسعة آلاف كلمة منوَّنة في القرآن، فهذه الكلمات المنوَّنة بالتأكيد للتنوين عليها دلالة ولها بلاغة.

فمن بلاغة التنوين: دلالة على التعظيم والتفخيم.

*فمثلاً قوله تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾[4]، (أجرٌ) كلمة منوَّنة، فما دام أنَّها منوَّنة القاعدة تقول بأنَّ التنوين يفيد أشياء من ضمنها التعظيم والتفخيم.

طيب كيف نستعملها؟ مثل ما تعودنا دائماً في قضية الصياغة، يعني: القاعدة عندي موجودة في ذهني (التنوين يفيد التعظيم أو التفخيم)، يبقى بعد ذلك الصياغة فأقول: دلَّت الآية على عظم الأجر الموعود به أهل الإيمان. طيب من أين جئنا بكلمة عظم الأجر هذه؟ من التنوين، ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾.

---

(4) [فصلت:8]

*مثال ثان: قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾[5]، ﴿هُدًى﴾ منوَّنة عليها تنوين، والقاعدة تقول: بأنَّ التنوين يفيد أشياء من ضمنها: التعظيم، طيب نطبق الآن القاعدة أو نصيغ تدبر من هذه القاعدة فنقول: دلَّت الآية على عظم الهداية الحاصلة للمؤمنين.

من أين أتينا بكلمة (عظم الهداية)؟ من التنوين ﴿عَلَى هُدًى﴾.

*وكذلك أيضاً: ﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾[6]، دلَّ ذلك على خلودهم الأبدي الطويل جداً، أخذنا هذا من التنوين على كلمة ﴿أَبَدًا﴾.

*مثال رابع: ﴿سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾[7]، فيه عظمة تسليم الله على أهل الجنَّة. أخذناها من التنوين، فيه تعظيم الله لكلامه لقوله؛ لأنَّه قال: ﴿قَوْلًا﴾، ﴿سَلامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾، يعني: قول عظيم من ربٍّ عظيم.

*وقوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[8]، دلَّت الآية على عظم الجنات، دلَّت الآية على اتساع الجنات، دلَّت الآية على أنَّ الجنَّات عظيمة. هذه كلها من التنوين في كلمة ﴿جَنَّاتٍ﴾.

*ومثلها أيضاً: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[9]، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ﴾[10]، ﴿عَذَابٌ﴾ دلَّت الآية على شدَّة ما ينتظرهم من العذاب. صياغة أخرى: دلَّت الآية على شدَّة وقوة العذاب. دلَّت الآية على عظم العذاب للكافرين، (شدَّة، وعِظَم) هذه الألفاظ أخذناها من التنوين الموجود في ﴿عَذَابٌ﴾.

---

(5) [البقرة:5]
(6) [الكهف:3]
(7) [محمد:12]
(8) [الأنعام:132]
(9) [المجادلة:4]
(10) [البقرة:10]

قواعد التدبر – القاعدة الرابعة2

بسم الله، والحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله.

أيضاً إكمالاً لقاعدة التنوين، هناك أمثلة كثيرة، سنأخذ الآن مثالاً ونتدارس به:

*أسماء الله الموجودة في القرآن التي تُختم بها الآيات غالباً منوَّنة، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(11)، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(12)، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(13)، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(14)، ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾(15)، وآيات كثيرة، أغلب الأسماء الحسنى التي خُتمت بها الآيات خُتمت منوَّنة، وأيضاً نفس القضية تستطيع أنَّك تستنبط منها فيها: فيها عظمة مغفرة الله وعظمة رحمته؛ لوجود التنوين على (غفور) و(رحيم). فيها عظمة سعة علم الله؛ لوجود التنوين.

*أيضاً انظروا لقول الله: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾(16)، ﴿صِرَاطٌ﴾ دلَّ ذلك على عظمة الصراط الذي يؤدي إلى الله الصراط المستقيم.

*وقوله: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾(17)، هذه الآية ملئت بالتنوين، ﴿جَزَاءً﴾ عليها تنوين، و﴿عَطَاءً﴾ تنوين، و﴿حِسَابًا﴾ تنوين، فدلَّ ذلك على عظمة جزاء الله للمتقين من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: تنوين كلمة (جزاء).

الوجه الثاني: تنوين كلمة (عطاء).

الوجه الثالث: تنوين كلمة (حسابا).

---

(11) [النساء:96]
(12) [الأنفال:71]
(13) [الفتح:4]
(14) [البقرة:247]
(15) [النساء:130]
(16) [الحجر:41]
(17) [النبأ:36]

يعني: أنَّه جزاءٌ عظيمٌ وعطاءٌ واسعٌ ومحسوبٌ بحسبة تليق بكرم الله، الجزاء الذي ينتظر المؤمنين. هذه النون أخذناها كلها من التنوين الموجود فيها، هذا جانب، هناك جانب آخر سنتكلم عنه في المقطع الآخر.

قواعد التدبر – القاعدة الرابعة3

بسم الله، والحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على رسول الله.

أحياناً التنوين يدلُّ على التقليل والتحقير.

*فمثلاً قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾[18]، ﴿شَيْءٍ﴾ منوَّنة، وهنا ما نقول: تدلُّ على التعظيم، وإنَّما نقول: تدلُّ على التقليل، يعني: كأنَّ الله يقول: أيُّ شيء تنفقونه يقع عند الله الموقع الحسن، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾، فنقول: فيها دلالة على أنَّ الله يعلم الصدقة مهما قلَّت. من أين أخذنا هذا؟ من التنوين. فيها حثٌّ على الصدقة بالقليل لقوله: ﴿شَيْءٍ﴾ منوَّنة، تستطيع أنَّك وكما تعودنا قديماً إذا فهمت المراد تستطيع أنَّك تصيغه بأكثر من تدبر.

*وكذلك قوله تعالى: ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾[19]، فيها دلالة على عدم مضرتهم لله بشيء؛ لأنَّ ﴿شَيْئًا﴾ كلمة منوَّنة.

*وقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾[20] فيها دلالة على قسمة الغنائم مهما قلَّت، من أين أتينا بـ(مهما قلَّت)؟ من قوله: ﴿غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، من التنوين في ﴿شَيْءٍ﴾، أحياناً يترتب عليها حكم فقهي مثل هذه الآية، مثل هذا المثال.

---

(18) [آل عمران:92]
(19) [آل عمران:176]
(20) [الأنفال:41]

*أيضاً قوله عزوجل: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾[21]، ﴿بَشَرٌ﴾فيها دلالة على تحقيرهم الرسل، فيه دلالة على تحقير الكفار للرسل، لقولهم: ﴿بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾، يعني: أنَّكم ما تختلفون عنَّا شيء بشر يجري عليكم ما يجري علينا.

وأحياناً التنوين يفيد التعميم العموم والكثرة، وبعضهم يلحقه بجانب التعظيم، لكن أحياناً يكون لفظ التعظيم غير مناسب فنأتي بكلمة التعميم:

*مثل: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾[22]، ﴿شَيْءٍ﴾، يعني: ما من شيء إلا وعندنا خزائنه، أيُّ شيء ترونه فعند الله خزائن منه.

*وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[23].

*وقوله عزوجل: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[24].

*وقال عن ريح عاد: ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾[25]، يعني: كل شيء أتت عليه.

فالخلاصة: أنَّ التنوين يفيد زيادة في المعنى، فأحياناً يفيد كثرة وعظمة، وأحياناً يفيد قلَّة، وهو على حسب سياق الآية، لكن ميزة التنوين أنَّك تستنبط من الآية إما كثرة وعظمة، أو قلة، مثلا:

*قول الله تعالى: ﴿غفور﴾، فيه مغفرة الله. وقوله: ﴿غَفورٌ﴾ بالتنوين؛ فيه عظمة مغفرة الله.

*وقوله عزوجل: ﴿أَجرٌ﴾ أو ﴿أَجرًا﴾ بالتنوين؛ فيه عظم الأجر الذي ينتظرونه.

*وقوله تعالى: ﴿عَذابًا﴾ بالتنوين؛ فيه شدة عذاب الله للكافرين.

---

(21) [يس:15]

(22) [الحجر:21]

(23) [الإسراء:44]

(24) [القصص:60]

(25) [الذاريات:42]

فأنت تصرِّف الاستنباط على حسب سياق الآية، فما كان مساقه التعظيم، يستنبط منه التعظيم، وطبعاً هذا يعطينا دلالة أكثر، يعني فوائد أكثر، فمثلاً:

*قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[26]، نستنبط منها: دلَّت الآية على أنَّ الله غفور، دلَّت الآية عن أنَّ الله رحيم، دلَّت الآية على أنَّ مغفرة الله عظيمة؛ لوجود التنوين، ودلَّت الآية على أنَّ رحمة الله عظيمة؛ لوجود التنوين. فصار عندنا أربعة استنباطات من هذه الآية.

والقضية ليست مكررة بقدر ما هي أننا نقف مع كل لفظ ومع كل حركة، وهذا يدلك على أنَّ القرآن عظيم حتى في الحركات والتشكيل يُستنبط منها فوائد.

هذه هي دلالة التنوين وهذه قاعدة التنوين، الآن افتح المصحف وانظر أي صفحة من صفحات المصحف وستجد فيها ألفاظ كثيرة عليها التنوين، حاول أنَّك تستنبط، واستعن -بعد الله سبحانه وتعالى- بالكلمات التالية: فيها دلالة على تعظيم، فيها دلالة على عظمة كذا وكذا، فيها دلالة على سعة كذا وكذا، فيها دلالة على شدة الأمر الفلاني، فيها دلالة على عموم مثلاً رحمة الله، أو عموم خلق الله، أو عموم قدرة الله.

---

(26) [النساء:96]

تشجير القاعدة الرابعة:

